تفسير كلّ آية بجملة

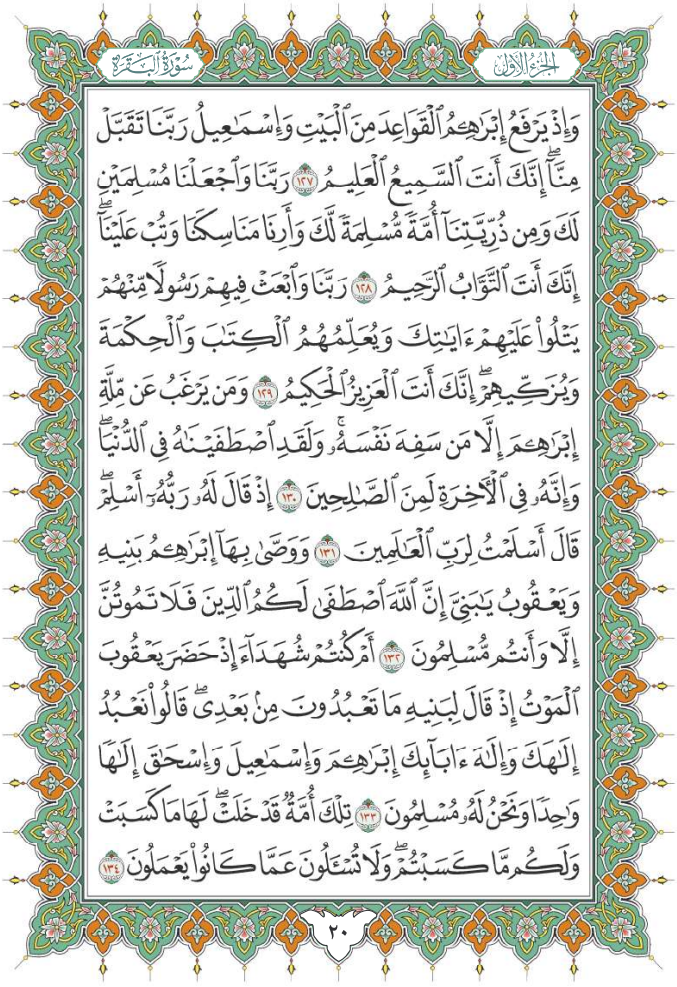

﴿١٢٧﴾ - وإذ يرفع إبراهيم هو وابنه إسماعيل قواعد البيت وهما يدعوان الله: ربّنا يا خالقنا وبارئنا تقبّل منّا هذا العمل الخالص لوجهك، فأنت السّميع لدعائنا العليم بصدق نيّاتنا.

﴿١٢٨﴾ - ربّنا وفّقنا واجعلنا مخلصين لك واجعل من ذريّتنا جماعة مخلصة لك، وعلّمنا طريقة عبادتنا لك في بيتك الحرام وما حوله، وتب علينا إن نسينا أو أخطأنا، إنّك أنت كثير القبول لتوبة عبادك، الغافر لهم بفضلك ورحمتك.

﴿١٢٩﴾ - ربّنا وابعث في ذريّتنا رسولًا منهم يقرأ عليهم آياتك ويعلّمهم ما يوحى إليه من كتاب وعلم نافع وشريعة محكمة، وما تكمل به نفوسهم من المعارف، ويطهّرهم من ذميم الأخلاق، إنّك أنت الغالب القاهر الحكيم فيما تفعل وما تأمر به وما تنهى عنه.

﴿١٣٠﴾ - ولَنِعم ما فعله إبراهيم وما دعا به ربّه، وما اتّبعه من ملّة قويمة، وأنّه لا يعرض عن ملّة إبراهيم إلا من امتهن إنسانيّته وعقله، ولقد اصطفاه الله في الدّنيا وإنّه في الآخرة لمن الصّالحين المقرّبين.

﴿١٣١﴾ - ولقد استجاب إبراهيم لأمر ربّه حينما طلب الله إليه أن يذعن، فقال: أذعنت لربّ العالمين جميعًا من جنّ وإنس وملائكة.

﴿١٣٢﴾ - ولم يكتفِ بذلك بل أوصى بنيه بأن يسيروا على هديه، وحاكاه حفيده يعقوب فأوصى هو الآخر بنيه كذلك أن يتّبعوا هذه السُّنن، وبيّن لأبنائه أنّ الله اصطفى لهم دين التّوحيد وأخذ عليهم العهد ألا يموتوا إلا وهم مسلمون ثابتون على هذا الدّين.

﴿١٣٣﴾ - لقد زعمتم أيّها اليهود أنّكم تتّبعون الدّين الذي مات عليه يعقوب، فهل كنتم شهداء عندما حضره الموت فعرفتم الملّة التي مات عليها؟ ألا فلتعلموا أنّ يعقوب وأبناءه كانوا مسلمين موحّدين ولم يكونوا يهودًا مثلكم ولا نصارى، وأنّ يعقوب حينما حضره الموت جمع بنيه وقال لهم: ما تعبدون من بعدي؟ فأجابوا: نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهًا واحدًا ونحن له خاضعون.

﴿١٣٤﴾ - تلك ما لكم أيّها اليهود والجدل في هؤلاء! فأولئك هم قوم قد مضوا لسبيلهم، ثمّ لهم وحدهم ما كسبوا في حياتهم، فلن تُسألوا عن أعمالهم، ولن يُفيدكم شيء منها، ولن يكون لكم إلا ما كسبتم أنتم من أعمال.

الآيات من 127 - 129

بناء البيت الحرام ودعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السّلام

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾.

أسباب النزول والمناسبة

المناسبة: بعد أن ذكّر الله تعالى العرب بما أنعم عليهم من فضائل البيت الحرام، أردف ذلك بتذكيرهم بأنّ الذي بنى البيت هو أبوهم إبراهيم مع ابنه إسماعيل، ليجذبهم بذلك إلى الاقتداء بسلفهم الصّالح الذي ينتمون إليه، وقد كانت قريش تنتسب إلى إبراهيم وإسماعيل، وتدّعي أنّها على ملّة إبراهيم، وسائر العرب في ذلك تبع لقريش، وكذلك كان يفعل اليهود.

المعنى العام

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾.

لمّا كان اليهود والنّصارى والعرب يقولون إنّ إبراهيم منّا، أقام الله عليهم الحجّة بأنّكم إن كنتم تتّبعون إبراهيم، فاجعلوا هذا البيت قبلة. وما هذه إلّا مقدّمات للآية التي ستتناول لاحقًا تغيير القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرّفة.

يقول الحقّ ﷻ: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ واذكر وقت رفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل، وبنائهما له بعد أن درس بالطّوفان، وكان آدم عليه السلام قد بناه لمّا أهبط إلى الأرض بإعلام الملائكة، فكان إبراهيم عليه السلام يبني، وإسماعيل يناوله الحجارة، لذا نُسب البناء لهما لتعاونهما، وقيل: كانا يبنيان كلّ في ناحية، حال كونهما قائلين: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ﴾ لدعائنا ﴿الْعَلِيمُ﴾ بنيّاتنا وسرائرنا. فقد كانا في عمل صالح، يسألان الله تعالى أن يتقبّل منهما، كما روى ابن أبي حاتم عن وهيب بن الورد، " أنّه كان يقرأ: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ثمّ يبكي ويقول: يا خليل الرّحمن، ترفع قوائم بيت الرّحمن وأنت مشفق أن لا يتقبّل منك"[1]. واعلم أنّ هذا الحال هو حال المؤمنين الخلّص كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا، وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾[2] أي يعطون ما أعطوا من الصّدقات والنّفقات والقرابات ﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ أي خائفة أن لا يتقبّل منهم. فعن عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: "قلت يا رَسُولَ الله ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا، وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾[3]، أَهُمُ الذين يَشْرَبون الخمرَ ويَسْرِقُونَ؟ قال: «لا، يا بِنْتَ الصِّدِّيق، ولكن هم الذي يَصُومون ويصلُّون ويَتَصَدَّقون، ويخافُون أَنْ لا يُتَقَبَّلَ منهم»"[4].

قال البخاريّ رحمه الله: "القواعد أساسه، واحدتها قاعدة."[5] والقاعدة: هي السّارية والأساس.

---

(١) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره، عن وهيب بن الورد، باب: ربّنا تقبّل منا، ج١، ص٢٣٣.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٦٠.

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ٦٠.

(٤) رواه ابن الأثير في جامع الأصول، حديث رقم: ٧٢٥، كتاب وباب: التفسير.

(٥) ذكره البخاريّ في صحيحه، كتاب: تفسير القرآن، باب: ﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت﴾.

وعن ابن عبّاس ﷺ قال: "أَوَّلَ مَا اتَّخَذَ النِّسَاءُ المِنْطَقَ مِنْ قِبَلِ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ، اتَّخَذَتْ مِنْطَقًا لِتُعَفِّيَ أَثَرَهَا عَلَى سَارَةَ، ثمّ جَاءَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ وَبِابْنِهَا إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُرْضِعُهُ، حَتَّى وَضَعَهُمَا عِنْدَ البَيْتِ عِنْدَ دَوْحَةٍ، فَوْقَ زَمْزَمَ فِي أَعْلَى المَسْجِدِ، وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ، وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ، فَوَضَعَهُمَا هُنَالِكَ، وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا جِرَابًا فِيهِ تَمْرٌ، وَسِقَاءً فِيهِ مَاءٌ، ثمّ قَفَّى إِبْرَاهِيمُ مُنْطَلِقًا، فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ فَقَالَتْ: يَا إِبْرَاهِيمُ، أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهَذَا الوَادِي، الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ وَلا شَيْءٌ؟ فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَارًا، وَجَعَلَ لا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا، فَقَالَتْ لَهُ: اللهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ نَعَمْ، قَالَتْ: إِذَنْ لا يُضَيِّعُنَا، ثمّ رَجَعَتْ، فَانْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ الثَّنِيَّةِ حَيْثُ لا يَرَوْنَهُ، اسْتَقْبَلَ بِوَجْهِهِ البَيْتَ، ثمّ دَعَا بِهَؤُلاءِ الكَلِمَاتِ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: رَبِّ ﴿إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ المُحَرَّمِ﴾ - حَتَّى بَلَغَ - ﴿يَشْكُرُونَ﴾[1] وَجَعَلَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تُرْضِعُ إِسْمَاعِيلَ وَتَشْرَبُ مِنْ ذَلِكَ المَاءِ، حَتَّى إِذَا نَفِدَ مَا فِي السِّقَاءِ عَطِشَتْ وَعَطِشَ ابْنُهَا، وَجَعَلَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ يَتَلَوَّى، أَوْ قَالَ يَتَلَبَّطُ، فَانْطَلَقَتْ كَرَاهِيَةَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَوَجَدَتِ الصَّفَا أَقْرَبَ جَبَلٍ فِي الأَرْضِ يَلِيهَا، فَقَامَتْ عَلَيْهِ، ثمّ اسْتَقْبَلَتِ الوَادِيَ تَنْظُرُ هَلْ تَرَى أَحَدًا فَلَمْ تَرَ أَحَدًا، فَهَبَطَتْ مِنَ الصَّفَا حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الوَادِيَ رَفَعَتْ طَرَفَ دِرْعِهَا، ثمّ سَعَتْ سَعْيَ الإِنْسَانِ المَجْهُودِ حَتَّى جَاوَزَتِ الوَادِيَ، ثمّ أَتَتِ المَرْوَةَ فَقَامَتْ عَلَيْهَا وَنَظَرَتْ هَلْ تَرَى أَحَدًا فَلَمْ تَرَ أَحَدًا ، فَفَعَلَتْ ذَلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ، قَالَ ابن عبّاس: قَالَ النّبيّ ﷺ: «فَذَلِكَ سَعْيُ النَّاسِ بَيْنَهُمَا» فَلَمَّا أَشْرَفَتْ عَلَى المَرْوَةِ سَمِعَتْ صَوْتًا، فَقَالَتْ صَهٍ- تُرِيدُ نَفْسَهَا-، ثمّ تَسَمَّعَتْ، فَسَمِعَتْ أَيْضًا، فَقَالَتْ: قَدْ أَسْمَعْتَ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ غِوَاثٌ، فَإِذَا هِيَ بِالْمَلَكِ عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْزَمَ، فَبَحَثَ بِعَقِبِهِ، أَوْ قَالَ بِجَنَاحِهِ، حَتَّى ظَهَرَ المَاءُ، فَجَعَلَتْ تُحَوِّضُهُ وَتَقُولُ بِيَدِهَا هَكَذَا، وَجَعَلَتْ تَغْرِفُ مِنَ المَاءِ فِي سِقَائِهَا وَهُوَ يَفُورُ بَعْدَ مَا تَغْرِفُ. قَالَ ابن عبّاس: قَالَ النّبيّ ﷺ:

«يَرْحَمُ اللهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ، لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَمَ- أَوْ قَالَ: لَوْ لَمْ تَغْرِفْ مِنَ المَاءِ-، لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْنًا مَعِينًا» قَالَ: «فَشَرِبَتْ وَأَرْضَعَتْ وَلَدَهَا، فَقَالَ لَهَا المَلَكُ: لا تَخَافُوا الضَّيْعَةَ، فَإِنَّ هَا هُنَا بَيْتَ اللهِ، يَبْنِي هَذَا الغُلامُ وَأَبُوهُ، وَإِنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أَهْلَهُ، وَكَانَ البَيْتُ مُرْتَفِعًا مِنَ الأَرْضِ كَالرَّابِيَةِ، تَأْتِيهِ السُّيُولُ، فَتَأْخُذُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ، فَكَانَتْ كَذَلِكَ حَتَّى مَرَّتْ بِهِمْ رُفْقَةٌ مِنْ جُرْهُمَ، أَوْ أَهْلُ بَيْتٍ مِنْ جُرْهُمَ، مُقْبِلِينَ مِنْ طَرِيقِ كَدَاءٍ، فَنَزَلُوا فِي أَسْفَلِ مَكَّةَ فَرَأَوْا طَائِرًا عَائِفًا، فَقَالُوا: إِنَّ هَذَا الطَّائِرَ لَيَدُورُ عَلَى مَاءٍ، لَعَهْدُنَا بِهَذَا الوَادِي وَمَا فِيهِ مَاءٌ، فَأَرْسَلُوا جَرِيًّا أَوْ جَرِيَّيْنِ فَإِذَا هُمْ بِالْمَاءِ، فَرَجَعُوا فَأَخْبَرُوهُمْ بِالْمَاءِ فَأَقْبَلُوا، قَالَ: وَأُمُّ إِسْمَاعِيلَ عِنْدَ المَاءِ، فَقَالُوا: أَتَأْذَنِينَ لَنَا أَنْ نَنْزِلَ عِنْدَكِ؟» فَقَالَتْ: نَعَمْ، وَلَكِنْ لا حَقَّ لَكُمْ فِي المَاءِ، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ ابن عبّاس: قَالَ النّبيّ ﷺ: «فَأَلْفَى ذَلِكَ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُحِبُّ الإِنْسَ» فَنَزَلُوا وَأَرْسَلُوا إِلَى أَهْلِيهِمْ فَنَزَلُوا مَعَهُمْ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِهَا أَهْلُ أَبْيَاتٍ مِنْهُمْ، وَشَبَّ الغُلامُ وَتَعَلَّمَ العَرَبِيَّةَ مِنْهُمْ، وَأَنْفَسَهُمْ وَأَعْجَبَهُمْ حِينَ شَبَّ، فَلَمَّا أَدْرَكَ زَوَّجُوهُ امْرَأَةً مِنْهُمْ، وَمَاتَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ، فَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ بَعْدَمَا تَزَوَّجَ إِسْمَاعِيلُ يُطَالِعُ تَرِكَتَهُ، فَلَمْ يَجِدْ إِسْمَاعِيلَ، فَسَأَلَ امْرَأَتَهُ عَنْهُ فَقَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا، ثمّ سَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ، فَقَالَتْ نَحْنُ بِشَرٍّ، نَحْنُ فِي ضِيقٍ وَشِدَّةٍ، فَشَكَتْ إِلَيْهِ، قَالَ: فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ فَاقْرَئِي عَلَيْهِ السَّلامَ، وَقُولِي لَهُ يُغَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِهِ، فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ كَأَنَّهُ آنَسَ شَيْئًا، فَقَالَ: هَلْ جَاءَكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، جَاءَنَا شَيْخٌ كَذَا وَكَذَا، فَسَأَلَنَا عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ، وَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا، فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا فِي جَهْدٍ وَشِدَّةٍ، قَالَ: فَهَلْ أَوْصَاكِ بِشَيْءٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ السَّلامَ، وَيَقُولُ غَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِكَ، قَالَ: ذَاكِ أَبِي، وَقَدْ أَمَرَنِي أَنْ أُفَارِقَكِ، الحَقِي بِأَهْلِكِ، فَطَلَّقَهَا، وَتَزَوَّجَ مِنْهُمْ أُخْرَى، فَلَبِثَ عَنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ مَا شَاءَ اللهُ، ثمّ أَتَاهُمْ بَعْدُ فَلَمْ يَجِدْهُ، فَدَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ فَسَأَلَهَا عَنْهُ، فَقَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا، قَالَ: كَيْفَ أَنْتُمْ؟ وَسَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ،

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٣٧.

فَقَالَتْ: نَحْنُ بِخَيْرٍ وَسَعَةٍ، وَأَثْنَتْ عَلَى اللهِ، فَقَالَ: مَا طَعَامُكُمْ؟ قَالَتِ اللَّحْمُ، قَالَ فَمَا شَرَابُكُمْ؟ قَالَتِ المَاءُ. قَالَ: اللهمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي اللَّحْمِ وَالمَاءِ، قَالَ النَّبِيّ ﷺ: «وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ حَبٌّ، وَلَوْ كَانَ لَهُمْ دَعَا لَهُمْ فِيهِ». قَالَ: فَهُمَا لا يَخْلُو عَلَيْهِمَا أَحَدٌ بِغَيْرِ مَكَّةَ إِلَّا لَمْ يُوَافِقَاهُ، قَالَ: فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ فَاقْرَئِي عليه السلام، وَمُرِيهِ يُثْبِتُ عَتَبَةَ بَابِهِ، فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ قَالَ: هَلْ أَتَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، أَتَانَا شَيْخٌ حَسَنُ الهَيْئَةِ، وَأَثْنَتْ عَلَيْهِ، فَسَأَلَنِي عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ، فَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا بِخَيْرٍ، قَالَ: فَأَوْصَاكِ بِشَيْءٍ، قَالَتْ: نَعَمْ، هُوَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلامَ، وَيَأْمُرُكَ أَنْ تُثْبِتَ عَتَبَةَ بَابِكَ، قَالَ: ذَاكِ أَبِي وَأَنْتِ العَتَبَةُ، أَمَرَنِي أَنْ أُمْسِكَكِ، ثمّ لَبِثَ عَنْهُمْ مَا شَاءَ اللهُ، ثمّ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ، وَإِسْمَاعِيلُ يَبْرِي نَبْلًا لَهُ تَحْتَ دَوْحَةٍ قَرِيبًا مِنْ زَمْزَمَ، فَلَمَّا رَآهُ قَامَ إِلَيْهِ، فَصَنَعَا كَمَا يَصْنَعُ الوَالِدُ بِالوَلَدِ وَالوَلَدُ بِالوَالِدِ، ثمّ قَالَ يَا إِسْمَاعِيلُ، إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي بِأَمْرٍ، قَالَ: فَاصْنَعْ مَا أَمَرَكَ رَبُّكَ، قَالَ: وَتُعِينُنِي؟ قَالَ: وَأُعِينُكَ، قَالَ: فَإِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أَبْنِيَ هَا هُنَا بَيْتًا، وَأَشَارَ إِلَى أَكَمَةٍ مُرْتَفِعَةٍ عَلَى مَا حَوْلَهَا، قَالَ: فَعِنْدَ ذَلِكَ رَفَعَا القَوَاعِدَ مِنَ البَيْتِ، فَجَعَلَ إِسْمَاعِيلُ يَأْتِي بِالحِجَارَةِ وَإِبْرَاهِيمُ يَبْنِي، حَتَّى إِذَا ارْتَفَعَ البِنَاءُ، جَاءَ بِهَذَا الحَجَرِ فَوَضَعَهُ لَهُ فَقَامَ عَلَيْهِ، وَهُوَ يَبْنِي وَإِسْمَاعِيلُ يُنَاوِلُهُ الحِجَارَةَ، قَالَ: فَجَعَلا يَبْنِيَانِ حَتَّى يَدُورَا حَوْلَ البَيْتِ وَهُمَا يَقُولانِ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾[1]»[2].

﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾.

قوله تعالى حكاية لدعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ واجعلنا مستسلمين لأمرك، خاضعين لطاعتك،لا نشرك معك في الطّاعة أحدًا سواك، ولا في العبادة غيرك. فقد كانا عليهما السلام مسلمَيْن ولكنّهما سألاه الثّبات. ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ واجعل من ذريّتنا- أي من العرب وغيرهم لأنّ من ذريّة إبراهيم بني إسرائيل، لقوله تعالى: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾[3]- أمّة مسلمة لك لتقوم بعدنا مقامنا في القيام بحقوقك، وهذا القدر من الدّعاء مرغوب فيه شرعًا، فإنّ من تمام محبّة عبادة الله تعالى، أن يحبّ أن يكون من صلبه من يعبد الله وحده لا شريك له. وشتّان بين من يطلب وارثًا لماله، وبين من يطلب نائبًا بعده يقوم بطاعته في أحواله. ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ مناسك الحج- مذابحنا- أخرجها لنا وعلّمنا إيّاها. عن مجاهد قال: "قال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ فأخذ جبريل عليه السلام بِيَدِهِ، فَذَهَبَ بِهِ حَتَّى أَتَى بِهِ الْبَيْتَ، قَالَ: ارْفَعِ الْقَوَاعِدَ، فَرَفَعَ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ، وَأَتَمَّ الْبُنْيَانَ، فَذَهَبَ بِهِ إِلَى الصَّفَا فَقَالَ: هَذَا مِنْ شَعَائِرِ اللهِ، ثمّ ذَهَبَ بِهِ إِلَى الْمَرْوَةِ، فَقَالَ: وَهَذَا مِنْ شَعَائِرِ اللهِ، ثمّ أَخَذَ بِيَدِهِ فَذَهَبَ بِهِ نَحْوَ مِنًى، فَإِذَا هُوَ بِإِبْلِيسَ عِنْدَ الْعَقَبَةِ، عِنْدَ الشَّجَرَةِ، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: كَبِّرْ وَارْمِهِ، فَكَبَّرَ وَرَمَى، فَذَهَبَ إِبْلِيسُ حَتَّى قَامَ عِنْدَ الْجَمْرَةِ الْوُسْطَى، فَحَاذَى بِهِ جِبْرِيلُ وَإِبْرَاهِيمُ، فَقَالَ جِبْرِيلُ: كَبِّرْ وَارْمِهِ، فَكَبَّرَ وَرَمَى، فَذَهَبَ إِبْلِيسُ حَتَّى أَتَى الْجَمْرَةَ الْقُصْوَى، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: كَبِّرْ وَارْمِهِ، فَكَبَّرَ وَرَمَى، فَذَهَبَ إِبْلِيسُ، وَكَانَ الْخَبِيثُ أَرَادَ أَنْ يُدْخِلَ فِي الْحَجِّ شَيْئًا فَلَمْ يَسْتَطِعْ، فَذَهَبَ حَتَّى أَتَى بِهِ الْمَشْعَرَ الْحَرَامَ، فَقَالَ: هَذَا الْمَشْعَرُ الْحَرَامُ، ثمّ ذَهَبَ حَتَّى أَتَى بِهِ عَرَفَاتٍ، فَقَالَ: هَذِهِ عَرَفَاتٌ، قَدْ عَرَفْتَ مَا أُرِيتُكَ؟ قَالَ: نَعَمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالَ: فَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ، قَالَ: وَكَيْفَ أُؤَذِّنُ؟ قَالَ: قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَجِيبُوا رَبَّكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَأَجَابَ الْعِبَادُ: لَبَّيْكَ اللهمَّ رَبَّنَا لَبَّيْكَ، مَرَّتَيْنِ فَمَنْ أَجَابَ إِبْرَاهِيمَ يَوْمَئِذٍ مِنَ الْخَلْقِ فَهُوَ حَاجٌّ"[4] ﴿وَتُبْ عَلَيْنَا﴾ عمّا فَرط منّا سَهْوًا من الصّغائر- لأنّهما معصومان-

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٧.
(٢) رواه البخاريّ في صحيحه، عن ابن عبّاس، حديث رقم: ٣٣٦٤، كتاب: أحاديث الأنبياء.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٥٩.
(٤) رواه سعيد بن منصور في التفسير من سننه، عن مجاهد، حديث رقم: ٢٢٠، كتاب وباب: سورة البقرة.

وتب على ظلمة أولادنا حتّى يرجعوا إلى طاعتك، ﴿إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ﴾ كثير القبول لتوبة من تاب، ﴿الرَّحِيمُ﴾ كثير الرّحمة والإنعام على عباده.

﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾

يقول تعالى إخبارًا عن تمام دعوة إبراهيم عليه السلام لأهل الحرم، ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ﴾ أي من ذريّة إبراهيم، وقد وافقت هذه الدّعوة المستجابة قَدَرَ الله السّابق في تعيين سيّدنا محمّد ﷺ رسولًا في الأميّين إليهم، وإلى سائر الأعجميّين من الإنس والجنّ، ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿والْحِكْمَةَ﴾ السّنّة، وقيل: الفهم في الدّين، ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ يطهّرهم من أمراض القلوب- تزكية القلوب- ومن أمراض النّفوس- تزكية النّفوس- وذلك بالإخلاص في طاعة الله، وهو مقام الإحسان. قال ابن إسحاق: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ يعلّمهم الخير فيفعلوه، والشّرّ فيتّقوه، ويخبرهم برضا الله عنهم إذا أطاعوه، ليستكثروا من طاعته ويجتنبوا ما يسخطه من معصيته. ﴿إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ العزيز الذي لا يعجزه شيء، وهو قادر على كلّ شيء، الحكيم في أفعاله وأقواله، فيضع الأشياء في محلّها لعلمه وحكمته وعدله.

لطائف الإشارات للسّلوك والتّزكية في الآيات

ما يستخلص من الآيات

في العقيدة

من هدي الآيات:

١. يبرز فضل الإسهام بالنفس والجهد والمال في بناء المساجد.

٢. يظهر أنّ المؤمن البصير في دينه يفعل الخير وهو خائف من عدم قبوله، فيسأل الله تعالى ويتوسّل إليه بأسمائه وصفاته أن يتقبّله منه.

٣. تتجلّى مشروعيّة سؤال الله للنفس والذريّة الثبات على الإسلام حتّى الموت عليه.

٤. يتأكّد وجوب تعلّم مناسك الحجّ والعمرة على من أراد أن يحجّ أو يعتمر.

٥. يتحقّق وجوب طلب تزكية النفس، وهو مقام الإحسان (التصوّف)، من خلال تعلّم وتطبيق آداب السلوك وتهذيب الأخلاق بالعلم والحكمة.

٦. يعلّمنا الله تعالى أهمّيّة التوسّل إليه بأسمائه الحسنى، وهي مفاتيح استجابة الدعاء، كما يظهر ذلك في هذه الآيات الثلاث:

- ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [١].
- ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [٢].

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٧. (٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٨.

• ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلعَزِيزُ ٱلحَكِيمُ﴾[١].

٧. أرسل الله نبيّنا سيّدنا محمّدًا ﷺ إلى النّاس كافّة، إلى الأحمر والأسود، لقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[٢].

٨. بيّن النّبيّ ﷺ أنّ عمل الإنسان ينقطع بموته إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له. فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النّبيّ ﷺ، أنّه قال: «إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلاثٍ: صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ، وَعِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ، وَوَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ»".

٩. جاءت الصّلاة الإبراهيميّة بالصّلاة على سيّدنا إبراهيم عليه السلام دون غيره من الأنبياء لأنّه دعا لذرّيته بالصلاح، فصلاح الأمّة يكون بصلاح الأولاد، لذا وجب على المؤمن أن يدعو لأولاده بالصّلاح.

١٠. أوضح رسول الله ﷺ أنّه عبد الله وخاتم النّبيّين، وذكر أنّه دعوة أبيه إبراهيم، وبشارة عيسى، ورؤيا أمّه آمنة عليها السلام التي رأت نورًا أضاء لها قصور الشام عند ولادته. عن رسول الله ﷺ قال: «إِنِّي عَبْدُ اللهِ، وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَأَبِي مُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ وَسَأُخْبِرُكُمْ عَنْ ذَلِكَ أَنَا دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبِشَارَةُ عِيسَى، وَرُؤْيَا أُمِّي آمِنَةَ الَّتِي رَأَتْ، وَكَذَلِكَ أُمَّهَاتُ النَّبِيِّينَ يَرَيْنَ، وَأَنَّ أُمَّ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَأَتْ حِينَ وَضَعَتْهُ لَهُ نُورًا أَضَاءَتْ لَهَا قُصُورُ الشَّامِ»...[٣]. والمراد أنّ أوّل من نوّه بذكره وشهرته في النّاس سيّدنا إبراهيم عليه السلام، ولم يزل ذكره في النّاس مذكورًا مشهورًا سائرًا، حتّى أفصح باسمه خاتم أنبياء بني إسرائيل نسبًا وهو عيسى ابن مريم عليه السلام، حيث قام في بني إسرائيل خطيبًا وقال: ﴿إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾[٤] ولهذا جاء في الحديث: «أَنَا دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبِشَارَةُ عِيسَى».

وقوله: «رَأَتْ حِينَ وَضَعَتْهُ لَهُ نُورًا أَضَاءَتْ لَهَا قُصُورُ الشَّامِ»، قيل: كان منامًا رأته حين حملت به وقصّته على قومها، فشاع فيهم واشتهر بينهم، وكان ذلك توطئة. وتخصيص الشّام بظهور نوره، إشارة إلى استقرار دينه ونبوّته ببلاد الشّام، ولهذا تكون الشّام في آخر الزّمان معقلًا للإسلام وأهله، وبها ينزل عيسى ابن مريم عليه السلام إذا نزل بدمشق بالمنارة الشّرقيّة البيضاء منها،[٥] ولهذا جاء في الصّحيحين، عن رسول الله ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ»[٦]، وفي رواية: «لا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللهِ، مَا يَضُرُّهُمْ مَنْ كَذَّبَهُمْ وَلا مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ،... وَهُمْ بِالشَّأْمِ»[٧].

من أسماء الله الحسنى: التوّاب

شرح الاسم: التواب

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[٨]. والتوّاب: هو الذي يتوب على عباده، ويكثر منه على كثرة عصيانهم.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٩.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.
(٣) رواه الحاكم في المستدرك، عن عرباض بن سارية، حديث رقم: ٣٥٦٦، كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة الأحزاب، الحديث صحيح.
(٤) سورة الصف، الآية: ٦.
(٥) انظر ابن كثير في تفسيره، باب: سورة البقرة، ج١، ص٤٤٤.
(٦) رواه مسلم في صحيحه، عن ثوبان، حديث رقم: ١٩٢٠، كتاب: الإمارة، باب: قوله ﷺ: "لا تزال طائفة...".
(٧) رواه البخاريّ في صحيحه، عن معاوية، حديث رقم: ٧٤٦٠، كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿إنّما قولُنا لشيء إذا...﴾.
(٨) سورة التوبة، الآية: ١١٨.

التعلق باسم الله التـوّاب:

بسؤال التّوبة منه عليك.

مـن أسماء الله الحسنى: العزيز

لاسم **العزيز** ثلاث صفات:

- يصعـب الوصول إليـه عـزّ جـاره وجـلّ ثنـاؤه، فالله تعـالى لا يُدرَك، صعـب المنال. قـال تعـالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[1].
- يحتاج إليه جميع الخلائق على الدّوام.
- لا وجود لمثله.

التّعلّق باسم الله العزيز:

- الله يغنيـك عـن كلّ شيء فـلا تطلـب العـزّة إلا مـن الله لأنّـك لا تحتـاج إلّا إليـه. ومن طلـب العزّة بغـير الله أذلّه الله ولو بعـد حـين، إلهي مـاذا وجـد من فقـدك وماذا فقد مـن وجدك؟
- طلب الهداية لأسباب العزّ، اللهمّ انقلني من سوء المعصية إلى عزّ الطّاعة.
- الدّخول في زمرة أهل العزّ بالله، وهم أهل الطّاعة والإيمان، وأهل المحبّة والعرفان.

مـن أسماء الله الحسنى: الحكيم

شرح الاسم: الحكيم

- هو الذي يفعل ما ينبغي على النّحو الذي ينبغي في الوقت الذي ينبغي.
- هو العالم بالأشياء على ما هي عليه، والآتي بالأفعال على ما ينبغي أن تكون عليه، وهو الذي تُستمدّ الحكمة منه.
- هو المُقدّس عن فعل ما لا ينبغي، يعني المنزّه عن فعل أمر لا ينبغي.
- هو الذي ليس له أغراض وليس على فعله اعتراض، أي ليس له مصلحة في شيء، لأنّه غنيٌّ عن كلّ شيء.
- هو الذي لا يقول ولا يفعل إلّا الصّواب، فأفعاله سديدة وصنعه متقن.
- هـو المُحكِم لخلق الأشياء، أي خلق كلّ شيء فأتمّه. وهـو إتقان التّدبير وإحسان التّقدير. مع هـذا، ليس المطلوب
- أن يخلق الله تعـالى كلّ شيء جميلًا بحسـب مـا تشتهي، فـكلّ شيء جميـل مـن حيث الحكمـة. فالحكيم هو الـذي خلق ما ينبـغي، وصّـوره عـلى النّحـو الـذي ينبـغي، وأخرجـه في الوقـت الـذي ينبـغي، لأنّـه هكـذا مخلوق في هكذا وقـت في هكذا زمـان، والمقصود منـه أن تتعـرّف عـلى أسماء الله تعالى.

التّعلّق باسم الله الحكيم:

- بأن تثـق بأنّـه مـا أمـرك بأمـرٍ إلا وفيـه خـيرٌ في دنيـاك وفي أُخـراك، ومـا نهـاك عـن نهيٍ إلا وفيـه شرّ في دنيـاك وأُخـراك، سـواءٌ عرفـت الحكمـة أم لم تعـرف. قـال الله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[2]
- بأن تثـق بـه وبوعـده وبحكمتـه في الأحـكام وفي القضـاء والقـدر، وأنّ الله لـو كشـف عنـك الغطـاء وأراك حقيقـة الأمـر لاخـترت مـا اختـاره الله لـك، مثـال: هـذا المـرض، هـذا البـلاء وهـذا العـدوّ، فتعـش راضيًـا.

(١) سورة الأنعام: ١٠٣.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٦٩.

في الأمر والنّهي

العمل بالآيات:

- كلّما تنهي عملًا صالحًا من صلاة أو صيام أو عمرة أو برّ، فقل: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.
- أُدعُ لنفسك ولذرّيّتك بالصّلاح والتّوفيق وحسن الخاتمة، وأشركهم في دعائك، ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.
- اِجعل لنفسك ولزوجك وأولادك خمس عشرة دقيقة كلّ اسبوع تقرأ فيها خلقًا من الأخلاق المحمّديّة، من كتاب نحييها لنحيا (اثنا وخمسون خلقًا)، وعاهدوا الله تعالى على تطبيق هذا الخلق في هذا الأسبوع ما استطعتم، وهكذا... حتّى تتمّوا الأخلاق بتمام السّنّة، ثمّ عاودوا ذلك مرّة ثانية وثالثة ورابعة حتّى تلقوا الله وأنتم تسعون في تحسين أخلاقكم. فعن رسول الله ﷺ، قال: «أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ»[1].

في الأخلاق والآداب

التّخلّق باسم الله التّواب:

هو بأن يُسارِعَ الإنسانُ إلى التَّوبةِ والنَّدمِ والاعترافِ بالخطأ، وأن يعتذرَ ويطلُبَ الصَّفحَ وَالعَفوَ ممَّن أخطأ بِحَقِّهِم. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوابِينَ﴾[2].

التّخلّق باسم الله العزيز:

- هو بأن ترفعَ همّتكَ عن الخَلْقِ وتعتمدَ على العزيز الحقّ فلا تطلب العزّة إلّا منه. قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾[3].
- من أرادَ عزًّا لا يفنى فلا يستعزَّنَّ بعزٍّ يفنى.
- من تعزّزَ بمخلوق زال عزُّه.
- وهو علاج لمرض خطير، ألا هو الشّعور بالنّقص الذي قد يكون بسبب عاهة جسديّة أو الوضع الاجتماعيّ أو الفقر... فتظنّ أنّ النّاس تنظر لك نظرة دونية.. والتّخلّق باسم الله العزيز ينفي هذا الأمر تمامًا، لأنّ عزّتك تأخذها من الله تعالى، وليس من نظر النّاس وتقييمهم لك.

من الأخلاق المحمّديّة: الحكمةُ والثّباتُ عليها

هذا الخُلُقُ مُستَمَدٌّ مِن اسمَي الله تعالى "**الحكيم الصّبور**".

والتَّخَلُّقُ باسم الله "**الحكيم**" هو بأن تكونَ حكيمًا في أقوالِكَ وأفعالكَ وجميعِ أمورِك، فإنّ الحكيمَ مَن ينظرُ في عواقبِ

---

(١) رواه أبو داود في سننه، عن أبي أمامة الباهلي، حديث رقم: ٤٨٠٠، كتاب: الأدب، باب: في حسن الخلق، الحديث إسناده حسن.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.
(٣) سورة فاطر، الآية: ١٠.

الأمورِ. والتَّخَلُّقُ باسم الله "**الصَّبور**" هو بأن تَثْبُتَ على تَطبيقِ الحكمَةِ وإن خالَفَكَ أكثَرُ النّاسِ، وَتصبِرَ على ذلك حتّى يُظهِرَ اللهُ النّتائجَ ويَروا العواقِبَ، وهذا يحتاجُ إلى صبرٍ كبيرٍ لأنّك ستُواجَهُ بتيّاراتٍ مِنَ الضُّغوطِ والانتقاداتِ، وذلك لأنَّ أغلبَ النّاسِ لا ينظرونَ في عواقِبِ الأُمور.

- كيف نُحسنُ التّصرّفَ ونختارُ الكلامَ المُناسِبَ لِكلّ ظَرفٍ؟ كيف نتجنّبُ العَقَباتِ حتّى نَصِلَ لِما نُريدُ وَننجحُ في أُمورِ حياتِنا؟ إنّها الحكمَةُ في القولِ والفعلِ وهي الّتي تَجعَلُنا نَسيرُ على هدًى وبَصيرَةٍ، ومِن أركانِها العلمُ (يكون مُلمّاً بالموضوع) والحلمُ (لا ينفعلُ بسرعة) والأناة (يتأنّى في أخذ القرارات وردودِ الفعل). قال الله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا...﴾[1].
- **الحكمة** هي وضعُ الشّيء في موضعِه، وهي قولُ أو فعلُ ما ينبغي في الوقتِ الّذي يَنبغي على النّحوِ الّذي ينبغي. مَن أوتيَ الحكمةَ استطاعَ وزنَ الأمورِ وتجنُّبَ الزّلّات ورؤيةَ أبعادِ المُعطياتِ وأبعاد الأمور. والحِكمةُ تَحفظُنا من فعل ما يعود علينا بالضّرر وارتكاب السّوءِ أو التّلفُّظِ بِهِ، ومِنَ التَّسَرُّعِ وَالتّجنّي على الغَيرِ، ومِن عملٍ ما يَضطرّنا للاعتذار وطلب العَفْوِ.

ومن الحكمة استشارة الحكماء واستخارة الحكيم العليم جلّ في علاه، ما ندم من استشار، وما خاب من استخار.

- **الحكمةُ** تنبعُ من نورِ العقلِ الّذي أمدّكَ الله به، فهي تأتي من العلمِ وحُسنِ التّصرّفِ واتّخاذِ القرارِ المناسِبِ في الوقتِ المناسِبِ. كما تنبعُ من النّورِ الأعلى الأتمّ الأقوى: نورِ القرآنِ والسّنّة النّبويّة والأخلاقِ المحمّديّة، الّتي باتّباعها تكون على هدًى ونور من ربّك.
- **الثّباتُ** هو البقاءُ على الشّيءِ والاستمرارُ فيه. فالثّباتُ على العملِ والموقفِ والمبدأ والطّريق والمرابطة يتمُّ عبر المداومة على الطّاعات والمعتقدات والخدمات والأعمال الصّالحة وكلّ شيء يقرّب إلى الله تعالى. قال رسول الله ﷺ: «لا تَزالُ طائِفَةٌ مِنْ أُمَّتي قائِمَةً بِأَمْرِ اللهِ لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خالَفَهُمْ حَتّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- وَهُمْ ظاهِرونَ عَلى النّاسِ»[2].

وقد قال الله تعالى: ﴿يا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا إِذا لَقيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللهَ كَثيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحونَ﴾[3] وقال الله تعالى: ﴿... رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ﴾[4].

- **من قواعدِ اكتسابِ الحِكمةِ:** تجنُّبُ المفاسِدِ لأنّ المفسدَةَ ستطغى ولو كان في الأمر مصلحةٌ. لذلك فالقاعِدَةُ: "**درء المفسدة مقدّم على جلب المصلحة**" وَمِنَ الحِكمَةِ تجنُّبُ أصدقاءِ السّوء، وحسنُ اختيارِ الكتابِ، والبرامجِ الّتي تتابعها، والرّفق في الأمر كلّه، والإحسانُ والمعروفُ للآخرينَ وإن لم يعلموا، ذلكَ أنّ القاعدة القرآنيّة تقول: ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلَّا الإِحْسَانُ﴾[5]
- بالحكمةِ يصبحُ الشّخصُ دائمَ التّفاؤلِ لأنّه يعلمُ بأنّه ليس بعد الضّيق إلّا الفرج، ومَعَ كلّ عُسرٍ يُسرين، وأنّ دوامَ الحالِ من المُحالِ، وعواقب الأمورُ إلى الأفضل، قال تعالى: ﴿وَعَسى أَنْ تَكْرَهوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾[6]. وبذلك يُصبحُ قلبُ الإنسانِ مرتاحًا وسعيدًا. كما يأتيه الهدوءُ والحلمُ لمواجهةِ المواقفِ فيكون غيرَ عجولٍ وغير انفعاليّ، فينظر للكلّيّات دون الجزئيّات، ولحقائق الأمور دون ظواهرها، ويدعو كما دعا خليل الرّحمن عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾[7].

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٩.
(٢) رواه مسلم في صحيحه، عن معاوية بن أبي سفيان، رقم الحديث: ٥٠٦٤، كتاب: الإمارة، باب: قوله لا تزال طائفة من أمّتي ظاهرين على الحقّ.
(٣) سورة الأنفال، الآية: ٤٥. (٤) سورة الأحزاب، الآية: ٢٣. (٥) سورة الرّحمن، الآية: ٢٣.
(٦) سورة البقرة، الآية: ٢١٦. (٧) سورة الشعراء، الآية: ٨٣.

التوجيهات:

- كلّما عملت عملًا تتعبّد الله فيه فادعُ بهذا الدّعاء: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.
- الدّعاء بالصّلاح والاستقامة للذرّيّة شأن الأنبياء والصّالحين بعدهم، ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

في السّيرة والشّمائل

عندما بلغ رسول الله ﷺ خمسًا وثلاثين سنة، وذلك قبل البعثة بخمس سنوات- بعد إبراهيم الخليل عليه السلام بمدّة طويلة- اجتمعت قريش لبنيان الكعبة بعد أن تصدّعت، وكانوا يهمّون برفعها ليسقفوها ويهابون هدمها، فألهمهم الله على كفرهم أن لا يُدخلوا في بنائها من كسبهم إلّا طيّبًا، ولكنّهم استقلوا من بنيانها لعدم توفّر النّفقة اللّازمة. قال ابن إسحاق: "ثُمَّ إِنَّ الْقَبَائِلَ مِنْ قُرَيْش جَمَعَتْ الْحِجَارَةَ لِبِنَائِهَا، كُلّ قَبِيلَة تَجْمَع عَلَى حِدَة. ثمّ بَنَوْهَا حَتَّى بَلَغَ الْبُنْيَان مَوْضِع الرُّكْن يَعْنِي الْحَجَر الْأَسْوَد، فَاخْتَصَمُوا فِيهِ كُلّ قَبِيلَة تُرِيد أَنْ تَرْفَعهُ إِلَى مَوْضِعه دُون الْأُخْرَى، حَتَّى تَحَاوَرُوا وَتَخَالَفُوا وَأَعَدُّوا لِلْقِتَالِ، فَقَرَّبَتْ بَنُو عَبْد الدَّار جَفْنَة مَمْلُوءَة دَمًا، ثمّ تَعَاقَدُوا هُمْ وَبَنُو عَدِيّ بْن كَعْب بْن لُؤَيّ عَلَى الْمَوْت، وَأَدْخَلُوا أَيْدِيهِمْ فِي ذَلِكَ الدَّم فِي تِلْكَ الْجَفْنَة فَسُمُّوا " لَعَقَة الدَّم". فَمَكَثَتْ قُرَيْش عَلَى ذَلِكَ أَرْبَع لَيَالٍ أَوْ خَمْسًا، ثمّ إِنَّهُمْ اِجْتَمَعُوا فِي الْمَسْجِد فَتَشَاوَرُوا وَتَنَاصَفُوا، فَزَعَمَ بَعْض أَهْل الرِّوَايَة أَنَّ أَبَا أُمَيَّة بْن الْمُغِيرَة بْن عَبْد الله بْن عَمْرو بْن مَخْزُوم وَكَانَ عَامَئِذٍ أَسَنَّ قُرَيْش كُلّهمْ قَالَ: يَا مَعْشَر قُرَيْش اِجْعَلُوا بَيْنكُمْ فِيمَا تَخْتَلِفُونَ فِيهِ، أَوَّل مَنْ يَدْخُل مِنْ بَاب هَذَا الْمَسْجِد يَقْضِي بَيْنكُمْ فِيهِ. فَفَعَلُوا، فَكَانَ أَوَّل دَاخِل رَسُول الله ﷺ. فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا: هَذَا الْأَمِين رَضِينَا، هَذَا سيّدنا مُحَمَّد ﷺ.

فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِمْ وَأَخْبَرُوهُ الْخَبَر، قَالَ ﷺ: هَلُمَّ إِلَيَّ ثَوْبًا فَأُتِيَ بِهِ، فَأَخَذَ الرُّكْن يَعْنِي الْحَجَر الْأَسْوَد فَوَضَعَهُ فِيهِ بِيَدِهِ، ثمّ قَالَ: ﴿﴿لِتَأْخُذ كُلّ قَبِيلَة بِنَاحِيَةٍ مِنْ الثَّوْب ثمّ اِرْفَعُوهُ جَمِيعًا﴾﴾، فَفَعَلُوا حَتَّى إِذَا بَلَغُوا بِهِ مَوْضِعه وَضَعَهُ هُوَ بِيَدِهِ ﷺ، ثمّ بَنَى عَلَيْهِ وَكَانَتْ قُرَيْش تُسَمِّي رَسُول الله ﷺ قَبْل أَنْ يُنَزَّل عَلَيْهِ الْوَحْي " الْأَمِين"، فَبَنَوْهَا عَلَى مَا أَرَادُوا"[1].

في السّلوك

الإشارة: ينبغي للعبد أن يرفع قواعد إسلامه، ويشيّد دعائمه بتحقيق أركانه، كإتقان الشّهادتين بتحقيق معانيها، وإتقان الصّلاة بإتقان أركانها الظّاهرة والباطنة، وإتقان الزّكاة بإخلاص أدائها، وإتقان الصّيام بتحصيل آدابه، وإتقان الحجّ بتحصيل مناسكه بعد وجوبه، ويرفع أيضًا قواعد إيمانه بتحقيق أركانه، وهي: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشرّه، حُلْوِه ومُره، اعتقادًا وذوقًا، ويرفع أيضًا قواعد إحسانه، بتحصيل مراتبه، كتحقيق المشاهدة، وهو أن يعبد الله كأنّه يراه، فإن لم يستطع فليعبده كأنّ الله يراه، وإن شئت قلت: رفعُ قواعد الإسلام يكون بتحقيق التّوبة والتّقوى والاستقامة، ورفع قواعد الإيمان يكون بتحقيق الإخلاص والصدق والطّمأنينة، ورفع قواعد الإحسان يكون بالمراقبة والمشاهدة والمعرفة.

---

(١) انظر ابن هشام في السيرة، عن ابن إسحاق، باب: حديث بنيان الكعبة وحكم رسول الله ﷺ، ج٢، ص١٨-٢٠.

نجاحُ السّؤال في صدق الابتهال، فلمّا فزعا إلى الخضوع في الدّعاء أتاهما المدد، وتحقيق السؤال. ﴿إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ﴾ لأقوالنا ﴿الْعَلِيمُ﴾ بأحوالنا.

الإشارة: تضمّن دعاؤهما عليهما السلام ثلاثة أمور يُطلب التماسها والتّحقّق بها من كلّ واحد:

أوّلها: الانقياد لله في الظّاهر والباطن، بامتثال أمره والاستسلام لقهره، حتّى يسري ذلك في الأصل إلى فرعه، وهي غاية المِنَّة، قال في الحكم: «متى جعلك في الظّاهر ممتثلًا لأمره، وفي الباطن مستسلمًا لقهره، فقد أعظم منّته عليك».

والثّاني: معرفته الطّريق، والسّلوك على جادّتها، كارتكاب مشاقّ الطّاعات، ومعانقة مخالفة الهوى والشّهوات، ورؤية التّقصير في ذلك، وطلب التّوبة ممّا هنالك، وهذه هي مناسك حجّ القلوب، والطّريق الموصل إلى عَرَفَةِ حَضْرَةِ الغيوب.

والثّالث: الظّفر بالدّاعي إلى الله والدّال عليه، وهو المعلّم الأكبر، صحبته تطهّر من العيوب، ورؤيته تغني القلوب، وتُدخلها إلى حضرة الغيوب، ظاهره قائم بوظائف الحكمة، وباطنه مشاهد لتصاريف القدرة، وهذا هو القائم بالتّربية النّبويّة.

في الإعجاز العلميّ

في أشراط السّاعة

ذُكر عن أمير المؤمنين هارون الرشيد أو أبيه المهدي، أنّه سأل الإمام مالكًا عن هدم الكعبة وردّها إلى ما فعله ابن الزُّبير، فقال له مالك: "يا أمير المؤمنين لا تجعل كعبة الله ملعبة للملوك، لا يشاء أحد أن يهدمها إلا هدمها" فترك ذلك الرشيد... ولا تزال- والله أعلم- هكذا إلى آخر الزمان، إلى أن يخرّبها ذو السّويقتين من الحبشة،(١) فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿يُخَرِّبُ الكَعْبَةَ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنَ الحَبَشَةِ﴾(٢).

وعن ابن عبّاس رضي الله عنهما عن النّبيّ ﷺ قال: ﴿كَأَنِّي بِهِ أَسْوَدَ أَفْحَجَ(٣)، يَقْلَعُهَا حَجَرًا حَجَرًا﴾(٤).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿يُخَرِّبُ الْكَعْبَةَ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنَ الْحَبَشَةِ، وَيَسْلُبُهَا حِلْيَتَهَا، وَيُجَرِّدُهَا مِنْ كِسْوَتِهَا، وَلَكَأَنِّي أَنظر إِلَيْهِ أُصَيْلِعَ أُفَيْدِعَ، يَضْرِبُ عَلَيْهَا بِمِسْحَاتِهِ وَمِعْوَلِهِ﴾(٥)، الفَدَعُ: زيغ بين القدم وعظم السّاق.

هذا والله أعلم إنّما يكون بعد خروج يأجوج ومأجوج لما جاء عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿لَيُحَجَّنَّ البَيْتُ وَلَيُعْتَمَرَنَّ بَعْدَ خُرُوجِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾(٦).

---

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره، باب: ذكر بناء قريش الكعبة بعد إبراهيم الخليل، ج١، ص٣١٤.

(٢) رواه البخاريّ في صحيحه، عن أبي هريرة، حديث رقم: ١٥٩١، كتاب: الحجّ، باب: قول الله تعالى: ﴿جعل الله الكعبة البيت الحرام﴾.

(٣) (أفحج) من الفحج وهو تباعد ما بين السّاقين.

(٤) رواه البخاريّ في صحيحه، عن ابن عبّاس، حديث رقم: ١٥٩٥، كتاب: الحج، باب: هدم الكعبة.

(٥) رواه أحمد في مسنده، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، حديث رقم: ٧٠٥٣، مسند: المكثرين من الصحابة، مسند: عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، الحديث بعضه مرفوع صحيح وبعضه موقوف.

(٦) رواه البخاريّ في صحيحه، عن أبي سعيد الخدريّ، حديث رقم: ١٥٩٣، كتاب: الحجّ، باب: قول الله تعالى: ﴿جعل الله الكعبة البيت الحرام﴾.

﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[1] هذا الدّعاء ينبغي للحجّاج والمعتمرين الإكثار منه.
﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾.

الآيات من 130 - 132
سفاهة من يرغب عن ملّة إبراهيم

﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾.

أسباب النزول والمناسبة

سبب نزول الآية (١٣٠): روي أنّ عبد الله بن سلام دعا ابنيّ أخيه: سلمة ومهاجر، إلى الإسلام، فقال لهما: قد علمتما أنّ الله تعالى قال في التّوراة: إنّي باعث من ولد إسماعيل نبيًّا اسمه أحمد، فمن آمن به فقد اهتدى ورشد، ومن لم يؤمن به فهو ملعون، فأسلم سلمة، وأبى مهاجر، فنزلت فيه الآية.

قال أبو العالية وقتادة: نزلت هذه الآية في اليهود، أحدثوا طريقًا ليست من عند الله، وخالفوا ملّة إبراهيم فيما أحدثوه، ويشهد لصحّة هذا القول قول الله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ* إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَـٰذَا النَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾[2].

المعنى العام

يقول الحقّ ﷻ ردًّا على الكفّار فيما ابتدعوه وأحدثوه من الشّرك بالله، المخالف لملّة إبراهيم الخليل إمام الحنفاء، فإنّه جرّد توحيد ربه تبارك وتعالى، وتبرّأ من كلّ معبود سواه، ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ ومن هذا الذي يرغب عن ملّة إبراهيم الواضحة إلّا من جهل قدر نفسه وبخسها حقّها؟ ﴿وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا﴾ وكيف يرغب عاقل عنها، فيخالف طريق من اصطُفي في الدّنيا للهداية والرّشاد، من حداثة سنّه إلى أن اتّخذه الله خليلًا، وقد اخترناه أمامًا يقتدي به أهل الظّاهر والباطن ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ السّعداء لحضرتنا، والسّاكنين في جوارنا. وقد اخترناه لذلك لأنّ الله تعالى أمره بالإخلاص له ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ﴾ والاستسلام والانقياد لحكمه، فأجاب إلى ذلك شرعًا وقَدَرًا، ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال سريعًا: أسلمت وجهي لربّ العالمين، وانقدت بكلّيّتي إليه.

﴿وَوَصَّى بِهَا﴾ ووصّى بهذه الكلمة أو الملّة وهي الإسلام ﴿إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ﴾ [وكانوا أربعة: إسماعيل وإسحاق ومدين

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٧.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٦٧-٦٨.